قيد دمشق

الأستاذ حسني فريز

دمشق أوّلُ حُبٍّ رفَّ بالأملِ ... وروْعةُ الوجدِ في آلائه الأوَلِ
مِنْ قبلِ أن تُعرف الأشواق كان لها ... سحر يدق على الأفهام والمُقَلِ
هزت سريريَ أمّي وهي مُنشدة ... حُبَّ الشآم بقلب خافق ثمِلِ
فلم يَزلْ نامياً حتى رأيتُ لها ... مطالع العزّ والأخلاق والمُثُلِ:
بردى الذي عبقت بالعطر غوطته ... وما تناغى به الأطيار من قُبَلِ
وما تفتّحَ من زهر على فَنَنٍ ... واهتزّ من وَرَق في روضك الخضلِ
وما تأطّرَ من دَلِّ الصبا غُصُنٌ ... يتيه بالحسن لا بالحلي والحُلَلِ
وما تأمل ذو وجد ومعرفة ... بما يكون من المعلول والعللِ
وإذ أبو النصر في أكناف غوطتها ... متيّم بكمال الحكم في الدولِ
والصالحون وأهل الله موئلهم ... على اختلاف الرؤى والرأي والنحلِ
ومذ ألمّ بأرضِ الهند فارسها ... أطاف بالصين جند الشام في جذلِ
في الغرب كالشرق فتح لا مثيل له ... وذكره سائر في الناس لم يزلِ

* * *

وجاء دهر ثوارى نور بهجتها ... وصار وجه المنى والمجد للخجلِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كذاك دهرك ما ينفك ذو غير ... وكل ما شهد الإنسان ذو أجلِ
فقيّض الله نورَ الدين ينجدها ... ويبعث الروح في الغلاّب والوكلِ
رسالة الحق بالأعمال جسّدها ... وحشّد الناس بالإيمان والمثلِ
ولم يجاهد بأقوالٍ ينمقها ... ولا بكتبٍ يزجّيها مع الرسُلِ
ولا بتفسير نصٍ أو روايته ... ولا بتعليل أمرٍ بيّن الدخلِ
ولم يَقُلْ إن أوربا تناجزنا ... وما لنا باصطلاء الحرب من قِبلِ
بل قال إني إلى ربي لمتجهٌ ... والله حسبيَ في فرضٍ وفي نفلِ
وجاء تلميذه الميمون طالعهُ ... يتمّ خطة ذاك السيّد البطلِ
أتى الهمام صلاح الدين فاضطربت
له العدى وأثارت كل محتملِ
قلب وعقل وسيف باتر حردٌ
وكيف يرضى بجرح غيرِ مندملِ
وجمّع البغي في حطّين قوّته ... وجاءه الحق بالايمان والأملِ
وعَسْكرُ الظلم يخشى الناسُ مظهرهم ... كأنهم قِطَعٌ قدّتْ من الجبلِ
واستنصروا بحديد سال فوقهمُ ... يحمي الجلود ولا يحمي من الوجلِ
وكيف يحميهمُ والجوُ ملتهبٌ ... عند الظهيرة والطعنات كالشعلِ
وكان جند صلاح الدين معتمداً ... على الشهادة إن لم يُردِ بالسفلِ
لما تبيّن أن النصر حالفه ... وأن أعداءه صاروا إلى الفشلِ
أهدى إلى الأرض شكراناً لناصرهِ
لله ، لا لصوابِ الرأي والحيَلِ
وطهّر الأرضَ منهم بعده صُبُرٌ ... وعادت الدارُ للأشواق والغزلِ
حتى أتى من بني عثمان أفتكهم ... فراح يسلك فينا أشأم السبلِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقبلَ هذا أضعنا البحرَ فانحسرتْ ظلالنا وخسرنا عِزَّةَ النَّقلِ
وسيطرَ الفقرُ فالأسواقُ كاسدةٌ والأرضُ كالحةٌ من ذلكَ الشللِ
فطمَّنا الجهلُ حتى كانَ أعلمنا عُشَّ الخرافة والتوهين والجبلِ
هنا .. تجلببَ الاستعمارُ في بطلٍ من الفرنسيس ذو بطش وذو دجلِ
فهزنا جيشه هزاً بمعرفة واستيقظ الناس من نومٍ ومن وَهَلِ
وهبَّ منهم رجالٌ كان همهمُ بعثَ الحقيقة في التاريخ لا الجدلِ
فعاد للغة الفصحى بشاشتها وكلُّ ما كان في الماضي من النبلِ
ونورهم باهرٌ في كلِّ ناحيةٍ وجهدهم ظاهر في الأرض كالقللِ

* * *

وأنت يا ابن عليٍّ من شوامخهم بالعلم والرأي والإيمان والعملِ
دمشقُ ليلاكَ لا هندٌ ولا دعدُ وأنت قيسُ دمشق كنتَ في الأزلِ
من حبك الشام زدت الخلقَ معرفةً بما شرحتَ وما بينتَ من علَلِ
قد يعذل الناس أهل الحبِّ من حسدٍ لكنْ هواكَ بلا لومٍ ولا عذلِ
نعمتُ بالود في محياك بل نعُمتْ بك البلادُ وظلُّ الود لم يحلِ
قد أدركَ المجدَ أعلامٌ فما ظفروا من المودة إلاّ بعدَ مرتحلِ
وقد ظفرتَ بكلتا الحصلتين ومن
حظ المحبين ما أحرزتَ من نفلِ
إن الغرامَ الذي زانتكَ نسبته قد زنته أنت في تاريخكَ الجللِ
فسار مثل مسير الشمسِ من أفقٍ عال إلى أفق بالنور مكتحلِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net